

التفسير المختصر - سورة الانشقاق (٨٤) - الدرس (٢-٢) : تفسير الآية ١٦ ، فلا أقسم بالشقيق.....

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠٥-١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزردنَا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

سورة الانشقاق : فلا أقسم بالشقيق

مركز نقل هذه السورة قوله تعالى : لتركين طبقا عن طبق .

أيها الإخوة الكرام ؛ في سورة الانشقاق آيات كريمة وهي قوله تعالى :

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرَكَبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

[سورة الانشقاق الآيات : ١٦-١٩]

مركز التّقلّ في هذه الآية ، قوله تعالى :

﴿لَتَرَكَبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

فالإنسان يمشي في ممر إجباري وينتقل من حال إلى حال ، ومن اهتمام لآخر إلى أن ينتهي الأجل ويحاسبه الله على كل أعماله فالطفل يولد وأول موضوع بولادته أنه سليم أو غير سليم ، فإذا أدرك الأب والأم أنه سليم شكر الله عز وجل على ذلك ، هذا أول طبق ؛ سلامه المولود ثم يفرح الأهل حينما تظهر أسنانه ، وحينما يمشي وحينما يصبح نظيفاً ، ثم حينما يقول بابا وهي أول كلمة ، كل طور من أطوار الطف طبق ، والآن أصبح في سن المدرسة وذهب إلى هناك ، وحفظ بعض الأناشيد ، وطرب له الأهل ، ثم دخل الإعدادي ثم الثانوي ، ثم موضوع الجامعة ومستقبله ، ثم موضوع العمل ، وموضوع الدراسة ، ثم موضوع الزواج ، وكذا مشكلة العقم ، وما أنجب ، فإذا أنجب أصبح الموضوع موضوع ثانٍ ، وهو تربيتهم وتعليمهم وتزويجهم ، وكذا موضوع الصحة ، قال تعالى :

﴿لَتَرَكَبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾

[سورة الانشقاق الآية : ١٩]

يوم خطب دخل في موضوع المرأة ؛ توقفت أم لم تُوقَّف ! طولية أم قصيرة ! جميلة أم دميمة ، هذه قِصَّةُ الناس جميعاً ، وأخر شيء صحته ، معه كولسترول أو التهاب مفاصل أو ضعف أسنانه ، والشُّحوم الثلاثية مُرتفعة ، فالصِّحة طبق وتزويج بناته طبق ، وكذا أولاده ونجاحه في زواجه طبق ، نوع زوجته طبق ويراسته طبق ، قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾

[سورة الانشقاق الآية : ١٦]

الأرض كُرة ، ولا يوجد شكل هندسي تتدخل فيه الظلامة والنور كالكرة قال تعالى :

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى لَلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفارُ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٥]

لو أنَّ الأرض مكعب يدور يأتي النور فجأة ، ويأتي الظلام فجأة ، أما لأنَّ الأرض كُرة يتداخل الظلام مع النور ، غابت الشمس أما الجوّ واضح كيف يتلاشى الضوء شيئاً فشيئاً خلال عشرين دقيقة ؟ دخلنا فيما بين المغرب والعشاء ، ففي العشاء اخْتَفَى الشَّفَقُ ، وما دام هناك شفق معنى ذلك أنَّ آثار الشمس لا تزال واضحة ، لأنَّ الشمس أشِعَّتها مُسْتَقِيمَةً والأرض كُرة ، فلما غابت عينُ الشمس بقيت أشِعَّتها ، وأشِعَّتها تصطدم بالسَّحاب فتجد أنَّ هناك شفق أحمر ، وهو سحاب جاءته أشِعَّةُ الشمس ، والأرض تدور وهي كُرة ، والشمس ثابتة ، والشَّفَق آيةٌ دالةٌ على عَظَمة الله ، وعلى كُرويَّةِ الأرض ، وعلى أشِعَّةِ الشمس وعلى السُّحب ، لذلك وقت العشاء هو وقتُ غياب الشَّفَقِ ، ووقتُ المغرب هو وقتُ غياب عينِ الشمس ، وقتُ الفجر هو وقتُ بدء آخر الشمس قبل أن نظهر عينُها ، والمغرب كالفجر تماماً ، فالمغرب غابت عينُ الشمس وبقي ضوءها ، والفجر جاء ضوءها قبل أن تأتي عينُها ، فالفجر ظُهور آثار الشمس ، قال تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرِبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٧]

فالفجر الصادق يظهر في خيط أبيض في الأفق والشمس ظهرت عينُ الشمس والظُّهُر انتصاف الشمس في كيد السماء مع الزوال قليلاً ، والمغرب غياب عينِ الشمس ؛ بين انتصاف الشمس في كيد السماء وبين غيابها العصر ، والعشاء غياب الشَّفَق الأحمر قوله تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِيَ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ ﴾

[سورة هود الآية : ١١٤]

هذه الأوقات الخمس فَزُلْفًا من الليل هو الفجر والعشاء ، وطَرَفِيَ النهار شُرُوقُ الشمس وغيابها، وضيْمنُ النهار الظُّهُر والعصر ، قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾

[سورة الانشقاق الآية : ١٦]

ما علاقـة الشفـق بـتركـنـا طـبقـاً عن طـبقـ ؟ الـذـي خـلـقـ الـكـونـ هو الـذـي خـلـقـ الإـنـسـانـ ، وـهـوـ الـذـي صـمـمـ هـذـا الإـنـسـانـ لـيمـرـ من طـورـ لـآخرـ وـهـوـ الـذـي سـيـحـاسـبـ الإـنـسـانـ ، وـكـمـاـ قـالـ بـعـضـ الـفـلـاسـفـةـ فـيـ فـرـنـسـاـ : عـوـاـمـلـ السـعـادـةـ ثـلـاثـةـ : الـوقـتـ وـالـصـحـةـ وـالـمـالـ ، بـمـنـظـورـهـمـ وـفـهـمـهـمـ دـائـمـاـ يـنـقصـكـ أـحـدـ عـوـاـمـلـ السـعـادـةـ ، فـفـيـ سـيـنـ الشـابـ يـنـقصـكـ عـامـلـ المـالـ ، وـيـكـوـنـ لـكـ عـامـلـيـ الصـحـةـ وـالـوقـتـ ، وـفـيـ مـنـتصفـ الـعـمـرـ يـنـقصـكـ الـوقـتـ ، فـلـصـحـةـ مـوـجـودـةـ وـالـمـالـ مـوـجـودـ لـكـ لـاـ يـوـجـدـ وـقـتـ ، لـأـنـهـاـ مـرـحلـةـ تـأـسـيـسـ الـأـعـمـالـ ، وـفـيـ خـرـيفـ الـعـمـرـ يـنـقصـكـ الصـحـةـ ، فـفـيـ مـنـظـورـ أـهـلـ الدـنـيـاـ الإـنـسـانـ دـائـمـاـ تـنـقـصـهـ أـحـدـ عـوـاـمـلـ السـعـادـةـ ، أـمـاـ فـيـ مـنـظـورـ الإـيمـانـ حـينـمـاـ تـعـرـفـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـتـصـطـلـحـ مـعـهـ وـتـطـبـقـ مـنـهـجـهـ فـأـنـتـ مـعـهـ دـائـمـاـ ، تـوـاجـهـ كـلـ مـشـكـلـاتـ الـحـيـاـةـ مـنـ دـوـنـ فـلـقـ وـخـوفـ ، وـمـنـ دـوـنـ الـمـ وـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ إـذـاـ مـكـاـ أـقـسـمـ كـانـ هـنـاكـ مـعـنـىـ ، وـإـذـاـ لـمـ يـقـسـمـ كـانـ هـنـاكـ مـعـنـىـ آـخـرـ ، فـإـذـاـ قـالـ

تعـالـىـ :

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾

[سورة الشمس الآية : ١]

أـقـسـمـ ، وـكـذـاـ قـالـ تعـالـىـ :

﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾

[سورة الفجر الآيات : ٢-١]

وـالـلـلـيـلـ إـذـاـ يـغـشـىـ ؛ كـلـ هـذـاـ قـسـمـ ، أـمـاـ إـذـاـ قـالـ :

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُسْنِ * الْجَوَارِيِ الْكُنْسِ﴾

[سورة التكوير الآيات : ١٥-١٦]

الـلـعـمـاءـ قـالـواـ : إـذـاـ لـمـ يـقـسـمـ فـبـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـ ، وـإـذـاـ أـقـسـمـ فـبـالـنـسـبـةـ إـلـيـنـاـ ، وـهـنـاكـ مـعـنـىـ آـخـرـ وـهـوـ آـنـهـ
تعـالـىـ إـذـاـ قـالـ :

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾

أـيـ أـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ شـيـءـ بـدـيـهـيـ ، قـالـ تعـالـىـ :

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ الْيَمِنِ﴾

[سورة الانشقاق الآيات : ٢٠-٢٤]

نـحـنـ الـآنـ فـيـ طـوـرـ التـبـلـيـغـ وـفـيـ طـوـرـ التـكـلـيـفـ ، وـنـحـنـ الـآنـ فـيـ طـوـرـ السـمـاعـ ، وـبـابـ الـمـغـفـرـةـ مـفـتوـحـ ، وـبـابـ التـوـبـةـ الـصـلـحـ مـعـ اللهـ تـعـالـىـ مـفـتوـحـ الـأـبـوـاـبـ الـآنـ كـلـهـاـ مـفـتـحـةـ فـإـذـاـ جـاءـ الـأـجـلـ أـغـلـقـتـ هـذـهـ الـأـبـوـاـبـ كـلـهـاـ وـعـنـهـاـ يـقـولـ :

﴿هـتـّىـ إـذـاـ جـاءـ أـحـدـهـمـ الـمـوـتـ قـالـ رـبـ اـرـجـعـونـ * لـعـيـ أـعـمـلـ صـالـحـاـ فـيـمـاـ تـرـكـتـ كـلـاـ إـنـهـاـ كـلـمـةـ هـوـ قـاتـلـهـاـ وـمـنـ وـرـائـهـمـ بـرـزـخـ إـلـىـ يـوـمـ يـبـعـثـونـ﴾

[سورة المؤمنون الآيات : ٩٩-١٠٠]

يَتَمَنَّى أَنْ يُؤَخِّرَ سَاعَةً وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلَهَا فَالإِنْسَانُ يَسْتَغْلِلُ وَقْتَهُ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْشِي مَعَ أَصْحَابِهِ فَرَأَوْا قَبْرًا فَقَالَ صَاحِبُهُمْ هَذَا الْقَبْرُ إِلَى رَكْعَتَيْنِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ تَنْتَلُكُمْ أَفْضَلُ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ دُنْيَاكُمْ ، دُنْيَا عَرِيقَةٌ فِيهَا مَحَلَاتٌ وَمَعَالِمٌ وَقُصُورٌ وَمَزَارِعٌ ، فَالإِنْسَانُ أَيُّ طَبَقَ كَانَ فِيهِ فَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ ؛ بِالْكُهُولِ أَوِ الشَّابِّ أَوْ بَعْدِهِ وَأَخْطَرُ شَيْءٍ بِالْحَيَاةِ أَنْ يُعْلِقَ تَوْبَتَهُ عَلَى أَحَدِ الْأَطْبَاقِ كَانَ يَقُولُ إِلَى أَنْ تَزَوَّجْ أَوْ إِلَى أَنْ أَسْسِ عَمَلاً ، أَوْ حِينَمَا أَعُودُ مِنَ السَّفَرِ ، أَوْ حِينَمَا أُحِبُّ الْأَوْلَادَ ، وَقَدْ وَرَدَ بِالْأَثْرِ : هَلَّكَ مُسَوِّفُونَ " لَا تَرْبِطْ صَلْحَكَ مَعَ اللَّهِ بِطَبَقِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَطْبَاقِ ، أَنْهَيْتَ الزَّوْجَ جَاءَ الْأَوْلَادَ وَأَنْهَيْتَ الْأَوْلَادَ جَاءَتِ الصِّحَّةَ ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَرْبِطْ صَلْحَهُ مَعَ اللَّهِ بِطَبَقِكَ مِنْ هَذِهِ الْأَطْبَاقِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلِ ، الصَّلْحُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى يُبَرِّمُ فَوْرًا فَأَنْتَ لَكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ، وَيَوْمٌ مَوْعِدٌ ، وَيَوْمٌ مَمْدُودٌ ، وَيَوْمٌ مَفْقُودٌ أَخْطَرُ أَيَّامِكَ الْمَشْهُورَةِ ؟ فِيهِ تَنْتُوبَ ، وَفِيهِ تَؤْمِنَ ، وَفِيهِ تَعْبُدُ وَتَقْعُلُ الْخَيْرَ وَتَطْلَبُ الْعِلْمَ ، إِذَا مَرَكَزَ الْقِلْقَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِتَرْكِبُنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقِكَ ، وَلَا يَجُوزُ أَبْدًا أَنْ تَرْبِطَ تَوْبَتَكَ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَطْبَاقِ ، وَهُنَّ الَّذِينَ يَمْوتُونَ عِنْهُمْ قَوَافِلُ أَعْمَالٍ لَمْ تَتَنَّهُ ، سَلَّ أَهْلَ الْمُتَوَفِّيَّ تَجْدِلُهُ بَنُودُ كَثِيرَةٍ لَمْ تَتَنَّهُ ، وَقَدْ جَاءَهُ الْمَوْتُ ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ - هَذَا النَّقْطَةُ الدِّقِيقَةُ - يُعْلِقُ صَلْحَهُ مَعَ اللَّهِ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأَطْبَاقِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلِ ، وَهُنَّ الْأَطْبَاقُ لَا يَبْدِي مِنْهَا ، وَكُلُّ وَقْتٍ لَهُ هُمُومٌ ، فَهَذَا هُوَ أَكْبَرُ خَطَا ؛ التَّسْوِيفُ ، وَهُنَّ الْأَطْبَاقُ لَا عَلَاقَةُ لَهَا بِإِيمَانِكَ ، وَهِيَ مَمْرَّ إِجْبَارِيٌّ لِكُلِّ النَّاسِ ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِ سِنِّهِ لَهُ اهْتِمَامَاتٌ ، فَعَلَى مُسْتَنْدِيِ الْطَّلَابِ تَجَدُّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْأَسَانِذَةِ ، وَيَجْعَلُوُهُمْ وَاهْتِمَامَهُمْ عَلَى الْعَلَامَاتِ وَمَسْتَوِيِ الْامْتِحَانَاتِ ، وَلَمَّا يَخْطُبُ حَدِيثَهُ عَلَى النِّسَاءِ ، وَمَا اتَّصلُ بِهِمْ ، فَهُنَّ الْأَطْبَاقُ مَمْرَّ إِجْبَارِيٌّ لِكُلِّ النَّاسِ ، فَلَا تَرْبِطْهُمْ هَذَا بِالْدِينِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ